أثر العقيدة في سلوك الفرد المسلم

م.م. رياض أحمد إبراهيم الدوري
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

المقدمة

الفرد المسلم هو الأساس الذي ينبني عليه المجتمع لهذا فقد اهتم الإسلام بالفرد بصفة خاصة وقد ركز الإسلام على صياغة الإنسان عقائدياً وخلقياً ليكون بناؤه متيناً سليماً حتى يتحمل الأمانة الملقاة على عاتقه ، وقد نزلت الآيات المكية لتؤكد على صياغة الإنسان عقائدياً لما للعقيدة من آثار عظيمة في حياته ومعناها في أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية إذ أنه في ظل العقيدة يصبح الإنسان كائناً ربانياً في حياته وأخلاقه وعلاقاته كلها بالله تعالى وبالمجتمع الذي يعيش فيه وحوله وبالكون كله لأن الله سبحانه جعله خليفة له في الأرض وسيداً لجميع مخلوقاته إذاً لا بد أن يكون مثالاً في تصرفاته كلها فلا بد أن يكون ذا مبدأٍ رصين وعقيدة سليمة وحصينة .

!+

التعريف بعنوان البحث

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف بعنوان البحث اللغوي

١ . معنى أثر : الأثر بفتحتين ما بقي في رسم الشيء ، وضربة السيف. وسنن النبي . صلى الله عليه وسلم . ، بمعنى آثاره ، واستأثر بالشيء اسند به ، يقال : استأثر الله بفلان ، إذا مات ورجي له الغفران .

والمآثرة: بفتح الثاء وضمهاالمكرَ ُمةُ، لأنها تُؤثر وتذكر قرناً بعد قرن.

قال تعالى : [**أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ**](١) أي بقية منه .

التأثير إبقاء الأثر في الشيء(١). والأثر بقية الشيء والجمع آثار وأُثُور،

(١) سورة الأحقاف : من الآية ٤ .

يقال: خرجت في أثَرِهِ وفي أثَرِهِ[٢]، الأثر الخبر والجمع آثار أخبار.

قال تعالى: [**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**][٣]أي ما أسلفوا من أعمالهم.

٢ . معنى العقيدة: مأخوذة من عقد الحبل، والبيع، والعهد، فانعقد واعتقد كذا أي نقله.

وتعاقد القوم، تعاهدوا فيما بينهم[٤].

المطلب الثاني: تعريف العقيدة

ما هو معنى العقيدة، وما هي حاجة الإنسان إليها، وما هي خصائص العقيدة الإسلامية.

العقيدة لغةً: مشتقة من العقد ومعناه نقيض الحل وتأتي بمعنى الشدُّ يقال: عقدت الحبل شددته، وتأتي بمعنى العهد يقال: عقد العهد واليمين بعقدها وجمعها عقود مفردها (عقد). ومنه عقد البيع وعقد الزواج[٥].

والعقيدة: جمعها عقائد وهي ما لا يقبل الشك في نظر معتقده وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل[٦].

العقيدة في الاصطلاح : للعلماء تعريفات كثيرة في العقيدة من غير تناقض بل إنما يدل على سعة أفق العلماء وفهم أبعادها منها : هي :

١ . التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة فهي بمعنى الإيمان[٧] بدليل قوله تعالى: [**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**][٨].

٢ . هي الآمر الذي يجب أن يصدق به القلب وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقيناً

---

(١) ينظر مختار الصحاح : مادة (أثر) ٤ .

(٢) ينظر لسان العرب : مادة (أثر) ١٩/١ .

(٣) سورة (يس) : من الآية ١٢ .

(٤) ينظر مختار الصحاح : مادة (عقد) ٣٥٠ .

(٥) ينظر لسان العرب : مادة (عقد) ٢٩٦/٣-٢٩٨ .

(٦) العقائد الإسلامية : ٨ .

(٧) المصدر نفسه : ٨ .

(٨) سورة الحجرات : من الآية ١٥ .

لا يمازحه ريب ولا يخالطه شك[١].

٣ . هي تصديق القلب بالله ورسوله[٢].

وأما حاجة الإنسان إليها، فإن الإنسان لا بد له من مبدأ وركيزة يعتمد عليها في تصرفاته في الحياة الدنيا والآخرة وهي العقيدة التي تقيده من التحلل والانفلات لأن الإنسان بحد ذاته عنصر محتاجٌ من يكمله وهو الله تعالى ، علماً أن الله تعالى ليس بحاجة إلى هذا الإنسان ولا إلى عبادته لأنه كامل لا ينقصه شيء ، وهو الذي أوجد هذا الكون وقدره على ما هو عليه بما فيه من موجودات متنوعة واقتضت حكمته الباهرة أن يختار نوعاً من هذه الموجودات وهو الإنسان فيجعله سيد هذا الكون وكل ما سواه مسخر له قائم بخدمته ... وأوكل لهذا الإنسان عمارة الأرض وتنظيم أمورها حسب ما شرعه ، فهذا معنى الخلافة في قوله تعالى:

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ][٣] .

وقال أيضاً: **[هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا]**[٤].

فالإنسان قد جهزه الله تعالى بأخطر الصفات والملكات لتتكامل لديه القدرة على إدارة وعمارة هذه الأرض.

المطلب الثالث: العقيدة والسلوك الأخلاقي

إن أي مجتمع كان من المجتمعات لا يمكن أن ينهض ويرتقي سلم الحضارة بمجرد أخذه بالحضارة الصناعية فقط إنه إن قام على ذلك فقط صار مجتمعاً مشلولاً مريضاً أبله ما أيسر إزالته ولكن المهم بناء الحضارات وديمومتها، أن يسير التطور العلمي والتقدم الصناعي جنباً إلى جنب مع المثل الأخلاقية العالي والحياة الروحية المشرفة وماذا يضيرنا لو طورنا أوضاعنا من الناحية

---

(١) ينظر العقيدة الواسطية : ٥ .

(٢) ينظر الإيمان والحياة : ٢١.

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٠.

(٤) سورة هود : من الآية ٦١.

الصناعية وتمسكنا بأخلاقنا وتراثنا الإسلامي العربي المحمدي في الوقت نفسه ؟

ماذا تنفع الحضارات كلها إذا كانت خالية من الروح ؟

وماذا ينفع التقدم الصناعي، بل ماذا تنفع علوم الدنيا كلها إذا كانت خالية من الأخلاق؟

لو كان العلم من دون التقى شرف

لكان أشرف خلق الله إبليس

إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها

فلا اطلعت نبتاً ولا جادها السما

إن العلم المادي سلاح ذو حدين يصلح للبناء والتعمير ويصلح للهدم والتدمير هنا يجيء الرقيب الأخلاقي ليوجه هذا العلم نحو الخير والرشاد والفلاح والسداد هذا الرقيب هو العقيدة والإيمان .

إن بقائنا يتوقف على عنصرين اثنين عنصر العقيدة الإسلامية وعنصر الأخلاق المبينة على هذه العقيدة وهناك تلازم بين هذين العنصرين فإن ضيعنا العقيدة الإسلامية فقد ضيعنا كل شيء[١] وإن ضيعنا أخلاقنا الإسلامية فقد عرضنا عقيدتنا إلى ضياع.

المطلب الرابع: السلوك في اللغة

السلوك في اللغة : مأخوذة من سلك الشيء في الشيء فانسلك أي أدخله فيه فدخل (وبابه نصر)، قال تعالى: [**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**] ولم يذكر في الأصل سلك الطريق إذا ذهب فيه (وبابه دَخَلَ) وأظنه سها عن ذكره، لأنه مما لا يترك قصداً[٢].

والسلوك: هو الأخلاق والقيم والأسس الراسخة التي يتركز عليها ومدارها الفرد والمجتمع والسلوك ميسور في مجالات الواقع، ولا بد للمسلم أن يسلك أخلاقه وقيمه تلقياً من منهج الله أن يضع نصب عينيه خلق الرسول وسلوكه . عليه الصلاة والسلام . نهتدي بأخلاقه أو بشخصيته المثلى وهو النموذج الإنساني

---

(١) ينظر أخلاقنا والدمار : ٢١ .

(٢) ينظر مختار الصحاح : مادة (سلك) ٢٤٥ .

الفريد[١] .

أمير الشعراء أحمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٢] .

يقول ابن القيم . رحمه الله .: (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[٣] أن أحوج ما نحتاجه في هذا العصر، هو غرس الرجولة في نفوس شبابنا الذي يتسير الذين في خطى سريعة نحو موجات التغريب والتخنث ... !

ولا يمكن للأمة أن تنهض من كبوتها إلا إذا ارتفع مستوى الشباب فيها، ولا يرتفع إلا إذا تمسك بالعقيدة والأخلاق السامية الإسلامية[٤].

تربية الأخلاق : إن الأخلاق القوية لا تستقر في النفوس وتحبها الطباع بمجرد سماع خطبة أو قراءة مقالة ، بل تنمو وتترعرع وتؤتي أكلها طيبة .

(إذا سقيت بماء المكرمات)

هي الأخلاق تنبت كالنبات

إذا سقيت بماء المكرمات

منذ الصغر ، وإن ذلك يحتاج إلى تعليم طويل وتلمذة مستمرة .

ومنا هنا ندرك مدى تقصير الناس الكبير في تربيو أولادهم وما ساءت أخلاق هؤلاء إلا لما ساءت تربيتهم منذ الصغر فإذا أراد الآباء أن تكون أخلاق أبنائهم قوية متينة ، فعليهم أن يسمحوا لأولادهم بصحبة ومعاشرة إلا أصحاب الأخلاق الرفيعة ذلك أن الولد صاحب حسّ مرهف وهو مولع بالتقليد، وقد قال

---

(١) ينظر أعظم شخصية للإنسان : ١٢ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى : ١٩١/١٠ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . والحديث حسن كما في كشف الخفاء : ٢١١/٦ .

(٣) مدارج السالكين : ٣٠٧/٢ .

(٤) ينظر أخلاقنا والدمار : ٢٢ .

أحد الحكماء: ((أنبئني من تصاحب، أنبئك من أنت)) وكثير ممن أخطأ الطريق فزلت قدمه ، واتجه اتجاهاً منحرفاً عن الطريق الصحيح، كان انحرافه بسبب مصاحبته أناساً لا تجوز صحبتهم(١) .

قال تعالى : [**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**](٢) .

ويقول . عليه الصلاة والسلام .: ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))(٣)، إن الطفل الذي يتربى على المثل والأخلاق الفاضلة والسلوك الرفيع يدخل معركة حامية الوطيس مع شهواته وأهوائه ، يقاومها مقاومة عنيفة حتى ينتصر عليها وإن هذه المقاومة تحتاج إلى أعداد كبيرة ولا يكون ذلك بالتخاذل وترك العنان وترك الطفل حبله على غاربه يتصرف بما يملي عليه هواه ، فإذا نشأ على الدلال يشق عليه في المستقبل أن يغير من حياته التي نشأ عليها ، وإذا أصابته محنة في حياته لم يستطع أن يجابهها ويتغلب عليها، بل ينهزم أمامها ويستسلم لها ويهرب من تكاليف الحياة .

الفرد المسلم :

معنى الفرد : أي الوتر والجمع أفراد وفرادى(٤) .

وفرادى : واحداً بعد واحد قال تعالى:[**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى**](٥)

وقوله تعالى : [**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**](٦) .

---

(١) ينظر أخلاقنا والدمار : ٢٤ .

(٢) سورة الفرقان : الآيات ٢٧-٢٩ .

(٣) مسند أحمد : كتاب مسند المكثرين رقم (٨٠٦٥)

(٤) ينظر مختار الصحاح : مادة (فرد) ٣٩ .

(٥) سورة الأنعام : من الآية ٩٤ .

(٦) سورة مريم : من الآية ٩٥ .

الآثار الإيجابية للعقيدة

وفيه سبعة مطالب :

وللعقيدة الإسلامية آثار خلقتها في إنسانية الفرد ومن هذه الآثار والقيم هي :

المطلب الأول: وضع القيم الحقيقة للإنسان

أعطت العقيدة الإسلامية الإنسان قيمته الحقيقة وأنزلته منزلة تليق به وبوظيفته في الحياة الدنيا وغايته فيها ... فهو خلفة الله في أرضه استخلفه فيها وكرمه [**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**][1] .

وقال تعالى أيضاً : [**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**][2].

فالإنسان في ظل هذه العقيدة ليس كماً مهملاً بلا غية ولا قيمة في حياته ووجوده ، بل هو محل تكريم الله تعالى وهو خلفته في الأرض ، ومهمته تحقيق العبودية لله عز وجل واتباع هديه وشرعه ... وليس هو كائن مادي بحت يتبع هواه ويتخذه إلهاً أو يستكبر ويستعلي ويظلم إشباعاً لنزواته ورغباته المادية التي خلقت كلها من أجله وقد قال تعالى : [**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ**][3][4] .

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٧١-٧٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٠.

(٣) سورة يس : الآيات ٧١-٧٥.

(٤) ينظر البداية والنهاية : ٣٨/٧ .

المطلب الثاني: إعلان تحرير الإنسان

لقد حررت العقيدة الإسلامية الإنسان عقلاً وروحاً من الخنوع لسلطان الهوى أو العبادة ومن صور الذل والاستعباد ... فالعبودية لله وحده إذ لا رب سواه، ولهذا انطلق المسلمون لبث دعوة الحرية من العالمين لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فهذا ربعي بن عامر يقف أمام رستم قائد الفرس المجوس رداً عليه بكل شجاعة وإيمان راسخ حينما سأله من جاء بكم إلينا؟ قائلاً له:

((لقد بعثنا الله لنخرج من نشاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها))[١].

وهكذا تكون حرية الكلمة وحرية الفكر مع العقيدة الإسلامية وشجاعة الفرد المسلم أمام الجبابرة والطواغيت لأن المسلم لا يخاف في الله أحد.

المطلب الثالث: منح الإنسان العزة

منحت العقيدة الإسلامية للإنسان عزة بلغت عنان السماء فهو جندي مرتبط بالحق سبحانه وتعالى دوماً وهي عزة لا تفارق المسلم ما دام سائراً على منهج الله سبحانه وسننه في الحياة قال تعالى : [**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**][٢] .

وقال أيضاً: [**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**][٣] .

فالمؤمن عزيز بعقيدته وإيمانه ومتعال على جميع القيم والتقاليد الأرضية مهما كانت ومهما دامت ... فالاستعلاء مع ضعف القوة وقلة العدد وفقر المال كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء ...[٤]

ولقد نص القرآن الكريم على عزة المؤمنين بقوله تعالى:

---

(١) المصدر نفسه : ٣٩/٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

(٣) سورة تبارك : الآية ٢٢ .

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم : ٣٧٠/٤.

[يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ](١) .

وهذه الآية نزلت في غزوة تبوك بعد أن غفل المسلمون راجعين وقد سبقهم عبد الله بن أبي سلول مع ثلث الجيش ونكث العهد أن ينصر رسول الله وقال لقومه من المنافقين لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ويقصد الأذل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وقد روي عن جابر بن عبد الله :

((كنا مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في غزوة فمر عروة فكسع رجل رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار وقال المهاجر: يا للمهاجرين أي كل واحد ندب قومه فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: ما بال دعوى الجاهلية(٢) ؟

((دعوها فإنها منتنة))

وقال عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق وقد فعلوها :

والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي . صلى الله عليه وسلم .: ((دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله(٣) .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، أني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله . فلا تدعني نفسي انظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله مؤمناً بكافر فأدخل النار

---

(١) سورة المنافقين : الآية ٨ .

(٢) صحيح مسلم : ١٩٩٨/٤ رقم (٢٨٥٤) .

(٣) صحيح البخاري: ١٨٦١/٤ رقم (٤٦٢٢) ؛ صحيح مسلم : ١٩٩٨/٤ رقم (٢٨٥٤) .

فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: ((بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)) (١) .

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما غفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك (أي ارجع) فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله فأنه العزيز وأنت الأذل فلما جاء رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقال : أما إذاً فقد أذن لك رسول الله فجزا الآن ، وفي رواية قال لأبيه : والله لا تدخل المدينة حتى تقول لرسول الله أنت الأعز وأنا الأذل(٢) .

لم يكن للمؤمنين أن يحابوا في دين إله أحداً حتى ولو كان آباءهم أو أبناءهم بعد أن أنزل الله تعالى في كتابه :

[**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوَ بْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**] الآية(٣) ، فهذه أم المؤمنين (رمله) المكناة (أم حبيبة) زوج النبي . صلى الله عليه وسلم . بنت أبي سفيان لما جاءها أبوها طوت الفراش ، ولم تسمح له بالجلوس عليه فقال : يا بنيتي لا أدري، أرغبت به عني أم رغبت به عنه ؟ فأجابته بل هو فراش رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأنت رجل مشرك نجس قال تعالى : [**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**](٤) . قال : لقد أصابك بعدي شر قالت : بل خير(٥) .

إلى غيرها من المواقف ، فهذه الآية أحد الأصول المهمة في الإسلام

---

(١) لم يرد في كتب الحديث وهو في جامع البيان : ٢٨/ ١١٦ ؛ تفسير القرآن العظيم : ٣٧٣/٤ .

(٢) مسند الحميدي : ٥٢٠/٢ رقم (١٢٤٠) . نوادر الأصول : ٣٠٦/١ .

(٣) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٤) سورة التوبة : من الآية ٢٨ .

(٥) ينظر السيرة النبوية (ابن هاشم) : ٥٠/٥ ؛ تاريخ الرسل والملوك : ١٥٤/٢ .

فالعقيدة هي الرابطة الأم التي تستظل بظلها كل الروابط الأخرى وحين تنهار فلا اعتبار لقربى أو مصلحة .

المطلب الرابع: تناسق الإنسان مع نفسه ومع الكون

إن الإنسان مخلوق صغير إلى جانب المخلوقات الكبيرة العديدة في الكون، وإذا تدبر الإنسان في نفسه يجد أنظمة دقيقة وكثيرة عظيمة، والتناسق لا يمكن أن يكون بمحض الصدفة والدقة هذه يجدها الإنسان إذا تدبر الكون الكبير في نظامه ونسقه وعجيب صنعه ونظام حركته فهذا مما يقوي الأيمان بعظمة الخالق القدير جل جلاله وهو يقول: **[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]**(١).

وبرغم صغر الإنسان بجانب سعة الكون إلا أنه روح هذا الوجود ولا معنى لبقية الكون ولا طعم للحياة بدونه فهو أعظم آية وأكبر معجزة تدل عل عظمة الخالق مما يعبر عنه وجوده من دقة وإبداع وأحسن القائل إذ يقول :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

[وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ](٢) .

وكما حرص الإسلام على الانسجام داخل النفس البشرية حتى يتم التناسق والتآلف ليؤدي وظيفة الاستخلاف في الأرض فكذلك حرص الإسلام على انسجام الإنسان مع الكون من حوله حتى يتم التكامل والتناسق بينهما على أكمل وجه ... وحتى يكون مسبحاً لله تعالى لقوله : **[تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا]**(٣) .

وساجداً لله تعالى لقوله: **[وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ]**(٤) .

وبموجب هذا يجد الإنسان نفسه سائراً في تناسق مع هذا الكون متجهاً

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ٢١ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الرعد : الآية ١٥ .

إلى الله تعالى كما أمره : [**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**][1] .

المطلب الخامس: الطمأنينة والرضى في نفس المسلم

من شأن العقيدة الإسلامية أن تبث الطمأنينة في نفس المسلم فيعيش حياة هادئة مطمئنة لا يساوره فيها قلق ولا يضيره فزع فلا يخاف ولا يجزع شاكراً في النعمة صابراً في البلاء لائذاً بربه لأنه يؤمن بقضاء الله وقدره خيراً أو شراً، قال تعالى : [**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**][2]، فهو محتسب دائماً لاجئ إلى الله وهذا ما أرشدنا إليه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حيث قال: ((إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل أنا لله وأنا إليه راجعون ، اللهم عندك احتسب مصيبتي فآجرني بها وأبدلني خيراً منها))[3] .

روي أن زوجاً غاضب زوجته فتوعدها قائلاً : لاشقينك ، قالت الزوجة: لا تستطيع أن تشقيني كما لا تستطيع أن تسعدني فقال الزوج : وكيف لا أستطيع قالت الزوجة بكل ثقة : لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني ولو كانت في زينة من الحلي لحرمتني منها ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا أحد في الدنيا فقال لها في دهشة وعجب : وما هو قالت : وأني أجد سعادتي في إيماني وإيماني في قلبي وقلبي بيدي ربي أو وقلبي لا سلطان لأحد عليه سوى ربي[4] .

وعليك أن تتدبر الآيات الآتية قال تعالى: [**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**][5]. وقوله: [**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**][6] .

فمن يلجأ إلى الله ويعلم أن أجله ورزقه وما يصيبه كله من الله وهو الذي يكشف الضر ويدفع البلاء وبيده كل شيء فلا شك أنه سعيد في الحياة الدنيا

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٣ .

(٢) سورة التغابن : من الآية ١١ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنائز ٢٢٠/٦ رقم (٨) .

(٤) ينظر الإيمان والحياة : ٨١ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٤٥ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

فائز في الآخرة وإذا أعرض عن ذكر الله ولم يطمئن ويؤمن بأن كل شيء بيده فقد أصابته التعاسة والشقاوة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : [**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**][1] .

المطلب السادس: تربية الفضيلة والأخلاق في الفرد المسلم

أن العقيدة الإسلامية تورث الإنسان مخافة الله تعالى وتقواه فيهذب نفسه ويربيها التربية الربانية ويخلقها بالأخلاق المحمدية فيصبح ربانياً حقاً وحقيقة فيسهل عليه التمسك بالفضائل والأخلاق الإسلامية السامية التي بينها الله تعالى ورسوله . صلى الله عليه وسلم . فيكون خلقه القرآن ، يحاسب نفسه ويراجعها ويندفع في أفعال الخير ويتجنب الشر والرذائل فهو منضبط بضوابط ربانية لا يحيد عنها أبداً ... أما غير المسلم فلا يؤمن شره فهو بدون ضوابط يضبط بها نفسه وهواه وسلوكه وعلاقاته ... ولا شك أن للأخلاق مكانة عظيمة في حياة الفرد والمجتمع وبدونها يصير الأفراد همجاً وتذهب ريحهم[2].

ويكون عملهم هباءً منثوراً ، قال تعالى: [**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا**][3] .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلا

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإنه همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا[4]

المطلب السابع: ضرر الرذيلة يتعدى إلى الغير

إن الإنسان الفاسد لا يقتصر شره على نفسه فقط بل يتعداه إلى غيره من الناس بل إلى المجتمع كله ، فقد يهدم مجتمعاً شامخاً برمته بعبث عابث أو فسوق مترف لذلك قال تعالى : [**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**][5] .

---

(١) سورة طه : الآيات ١٢٤-١٢٧ .

(٢) ينظر الإيمان والحياة : ٨١ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٤) الشوقيات : ١٨٣/١ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٢٥ .

إذن ما يفعله ويتشدق به قسم من أهل الشرور حين يقومون بأعمال الهدم والفساد الخلفي من أنهم يفعلون ذلك باسم (الحرية) خطأ كبير ، إذ ليس معنى الحرية أن تعتدي على غيرك وليس معناها أن تحطم أخلاق بلدك ، وليس معناه أن تهدم حصون مجتمعك ومقياسنا في ذلك حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ((لا ضرر ولا ضرار))[١] .

ويضرب لنا مثلاً رسولنا الأعظم . صلى الله عليه وسلم . ودرساً رائعاً للحرية ضمن قيود المصلحة العامة فيقول :

((مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذي في اسفلوا إذا استقوا من الماء مروا على فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذي من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا اهلكوا جميعاً وإن أخذوا عل أيديهم نجوا ونجوا جميعاً))[٢].

الخاتمة

زبدة القول بأن العقيدة الإسلامية أساس كل عمل يعمله المسلم في حياته الدنيا ليبني أخرته وإن الإسلام هو عقيدة وعمل ودين ودولة ودنيا وآخرة على سواء فلا تفريط بالحياة ولا في الآخرة [**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ**][٣].

وما أجمل ما قيل :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل

وقد قال أحمد شوقي :

إذا الأيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيى ديناً[٤]

لذلك أرجو الله جل وعلا أن يجعل العقيدة الإسلامية حبل الاعتصام بين جميع خلقه ويوحد الأمة على دينه ويحييها بمعرفته وينصرها على أعدائه من أمريكان ويهود وكل عقيدة باطلة تخالف وتحارب عقيدة الإسلام والله ولي التوفيق

---

(١) الموطأ : ٥٢٩ رقم (١٤٢٦) ؛ مسند أحمد : مسند الأنصار رقم (٢١٧١٤) ؛ سنن ابن ماجه : كتاب الأحكام رقم (٢٣٣١) .

(٢) صحيح البخاري : ٨٢٢/٢ رقم (٢٣٦١) ؛ سنن الترمذي : ٤٧٠/٤ رقم (٢١٧٣) .

(٣) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٤) الشوقيات .

وهو يدي إلى سواء السبيل .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. أخلاقنا والدمار . إبراهيم النعمة .
٢. الإيمان والحياة . د . يوسف القرضاوي . الطبعة الأولى . بيروت .
٣. البداية والنهاية . أبو الفِداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كَثِير القُرَشي الدَّمَشْقي . (ت ٧٧٤هـ) . مكتبة المعارف . بيروت . (د . ت) .
٤. البناء القرآني . شاكر عبد الجبار .
٥. تاريخ الطَّبَري (تاريخ الرُّسُل والملوك). أبو جعفر مُحَمَّد بن جَرْير الطَّبَري. (ت ٣١٠هـ). الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٧هـ .
٦. تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كَثِير . أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كَثِير القُرَشي الدَّمَشْقي . (ت ٧٧٤هـ) . دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . ١٤٠١هـ .
٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطَّبَري) . أبو جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يزيد بن خالد الطَّبَري . (ت ٣١٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت . ١٤٠٥هـ .
٨. سُنَن ابن مَاجَه . أبو عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيد القَزْويني. (ت ٢٧٥هـ). تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د.ت).
٩. سُنَن التِّرْمذيّ. أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى التِّرْمِذيّ السلمي. (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د.ت).
١٠. السُنَن الكُبرى. أبو بكْر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البَيْهَقي. (ت٤٥٨هـ). تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز. مكة المكرمة. ١٤١٤ هـ. ١٩٩٤م .
١١. السيرة النبوية . أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَري المَعَافِري البَصْري. (ت ٢١٣هـ). وابن هِشام جمع السيرة النبوية وهذَّبها ولخّصها من المغازي والسير لابن إسحاق أبي بكر محمّد ابن إسحاق بن يَسَار. (ت١٥١هـ) فاشتهرت بسيرة ابن هِشام . تقديم وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجيل . بيروت . ١٤١١هـ .
١٢. الشوقيات . أحمد شوفي . بيروت
١٣. صحيح البُخاري. مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. (ت ٢٥٦هـ). تحقيق: د . مصطفى ديب البغا. الطبعة الثالثة. دار ابن كثير، اليمامة . بيروت . ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٤. صحيح مُسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسابوري. (ت٢٦١هـ). تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بَيْرُوت. (د.ت).

١٥. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. (ت ٧١١هـ). الطبعة الأولى. دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م.
١٦. مختار الصحاح . مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .(ت ٧٢١هـ). تحقيق : محمود خاطر . الطبعة الأولى . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت. ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م .
١٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١هـ). تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي. الطبعة الثانية . دار الكتاب العربي . بيروت. ١٣٩٣ هـ . ١٩٧٣م .
١٨. مسند أحمد بن حنبل . أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني. (ت ٢٤١هـ). شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمّد شاكر . دار المعارف للطباعة والنشر بمصر . ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٩م .
١٩. مسند الحميدي . أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي. (ت ٢١٩هـ). تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . دار الكتب العلمية . بيروت ، ومكتبة المتنبي . القاهرة. (د.ت).
٢٠. موطأ الإمام مالك . أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي . (ت ١٧٩هـ). تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. مصر. (د. ت).
٢١. نوادر الأصول في أحاديث الرسول. أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي. (من علماء القرن الثالث الهجري). تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. الطبعة الأولى. دار الجيل. بيروت. ١٩٩٢م.